قلعة عنجر

آثارها القديمة ووصف قلعتها

لاخفاء بان الآثار القديمة اليوم هي من اهم دعامات التاريخ وعليها تشيّد حقيقتهُ وبها تتأيد فلسفتهُ . ومما ظهر من الآثار في (عنجر) بعض مسكوكات ليسيانوس ابن بطلميوس بن مينا الايطوري حاكمها وفيها صورتهُ من جهة وعلى رأسهِ تاج ، وصورة بالاس واقفة مع كتابة تدل عليهِ من الجهة الثانية . وظهرت نقود اخرى لكثير من الملوك والامراء الذين حكموا البلاد وتولوا شؤون هذه الامارة. وكذلك ظهرت نقود عليها صورة رأس اغريبا على احد الوجهين وحولهُ باليونانية باسيلاوس اغريبا اي الملك اغريبا وصورة مرساة (علامة الرجاء) وتاريخ السنة العاشرة وهي تاريخ لكلاشيس على الوجه الثاني. وهذا التاريخ يوافق سنة خمسين للميلاد . والمرساة تدل على تسمية المدينة (بانجرة) اليونانية أي مرساة . وهذه النقود هي لاغريبا الثاني الصغير او الشاب ابن اغريبا الاول

ولقد خربت هذه المدينة وآثارها بايدي الفاتحين والغزاة وبالزلازل حتى دكت حصونها وتقوضت دعائمها وبقيت منها بقية الى عهدنا هاك لمعةً عنها :

ذكر العزيزي في (تقويم البلدان): ان الطريق من صيداء الى مدينة مشغرا [1] وهي آخر بلد في تلك الناحية في وادٍ في نهاية الحسن بالاشجار والانهار والمسافة ٢٤ ميلاً . ومن مدينة مشغرا الى مدينة تعرف بكامد [2] قاعدة تلك البلاد قديماً ستة اميال ومن مدينة كامد الى ضيعة تعرف (بعين الجرّ) ثمانية عشر ميلاً . ومن عين الجرّ الى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلاً

وقال ابن خرداذبه في (المسالك والممالك) : ومن اخذ من بعلبك الى طبرية على طريق الدارج فمن بعلبك الى (عين الجر) عشرون ميلاً والى (القرعون) [3]

---

(١) ربما كانت الكلمة حثية او من كلتين (ميشا) وهو ابن ارام و(كارا) حصن اي حصن ميشا وهي قرية كبيرة بقي منها عظام قديماً منهم بنو الحر الشغراني

(٢) (ربما كانت من كلة (كاميتوس) اليونانية بمعنى (القمح) وهي اليوم قرية تسمى (كامد القرز) لانتشار لوزها ونسب اليها بعض العلماء

(٣) لعل (قرعون) من كلتي (كارا) اي حصن و (أون) اي شمس فقيل قرعون. اومن ثلاث كلمات هي (قب) بمعنى مركز و (رع) نور و (اون) شمس فتحت القرعون اي مركز نور الشمس وهي قرية عامرة فيها بنو حيدور من بقية عرب الحيراء وفيها علماء

وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر . ومن (قرعون)الى قرية يقال لها(الميون) تمضي الى كفر (ليلى) عشرون ميلاً ومن (قرعون) الى (طبرية) خمسة عشر ميلاً (اه)

قلتُ وقرية (عنجر) على بعد ربع ساعة من محطة المصنع المعروف (بمجدل عنجر) على طريق العربات بين بيروت ودمشق في مدخل وادي الحرير ووادي القرن . فهما الآن قريتان

وبوادي عنجر الى كفر يبوس محلة « دعسات الميمون » او «اجران الميمون» كما تسميها العامة وعددها اربع على قدر حوافر الحصان يزعم انها «دوسات» حصان الامام علي لما جاء مدينة العنكبوت هذه اي يهود خيبر ليخرّب سورها مع الامام عمر بن الخطاب لان سكان المدينة وثنيون فدمروها . وكل ذلك من التخرصات والترهات ولاسيما قول ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٢٥٤) ان نوحاً ركب في هذه المدينة سفينته

اما نهر الغزير اومرسياس فهو مجموع ينابيع كثيرة من قرية (عنجر) تنبجس من حول تلّ صغير يسمى (جُبَيْلة عين البيضاء) حيث تنفجر من سفحه عين البيضاء وتصب مياهها في الغزير .ثم بركة عنجر الدورية ثم نهر الحسين ونهر معصية ونبع الشمسين الى شمالي البركة وهناك اطلال بلدة (الصالحية) الخربة الآن وهي من ارض عنجر ثم نهر الفاعور الذي يخرج من قرب قرية (تربل[1]) ويمرّ قرب قرية كفر زبد[2] ويصب في الغزير فمجموع هذه الينابيع والجداول كوّن نهراً سمي (الغُزَيِّر)لغزارة مياهه وعليه(جسر دير زينون[3])قرب برّ الياس.وسمى بليني وسترابون وغيرهما هذا النهر مرسياس باسم البقاع القديم كما مرّ آنفاً

اما بركة عنجر هذه فهي مربعة طولها نحو مائة وخمسين ذراعاً بعرض مثلها تفيض يومي الاثنين والجمعة من كل اسبوع وتصير ضعف الاصل عند مدها ثم تنجزر. ويظهر من اقوال القدماء اتخاذ مياه عنجر لسقيا الارض التي تجاورها كما في معجم البلدان لياقوت طبع مصر (٢ : ٢٥٠)

---

(١) لعل الايطوريين جلبوا من جبل تربل فوق طرابلس اناساً استعمروا هذه القرية فسموها باسم موطنهم الاول او نقلوا هم هذا الاسم وهو يوناني اصله (تريبولي) اي المدن الثلاث وهي قرية فيها تمثال قديم قرب رياق (٢) هي قرية عامرة فيها آثار قديمة ومياه غزيرة

(٣) زينون اما تحريف كلمة (ذيون) اليونانية وهي اسم ذيونيس اله الخمر والطرب المعروف باسم باخوس الذي شاعت عبادته في هذا السهل . او هي باسم القديس زينون او ذي النون

ومن ذكرها من السيّاح الغربيين ميسلن الفرنسي سنة ١٨٥٥ م : ولقد قال فيها : «ونبع عنجر اغزر من نبع الليطاني وهو يصبّ فيه ويُعبَر على جسر دير زينون وذلك من هذا النهر الغزير والاطلال التي حولهُ مشهد مدهش وهناك كانت عاصمة السهل كلسيس التي تكلم عنها استرابون (١٦ : ٧٥٣) وفي داخل المدينة حتى اليوم دائرة سور ومساحة المدينة نحو نصف ساعة وفيه بقايا اربعة ابواب وعليه اثنان وثلاثون برجاً مع عمد رخامية وصوانية وارادم هياكل واحواض وآبار وقنوات متفرقة متبعثرة في سفح انتيلبنان في بقعة صغيرة . . . . وكان اسمها اذ ذاك (اي بزمن الصليبيين) (عين غارا) وتدعى الآن (عين قوبل) [١]

وهناك جدران متينة تشبه جدران راس العين قرب صور تدل على ان مياه نهر (عنجر) كانت محصورة لري السهول. والنبع الاصلي الاغزر ماء متقطع يتغير مرات كثيرة في النهار ويدير عدة مطاحن . وسكان تلك الناحية يعلقون عليه اعتقادات باطلة [٢]

ومن وراء عنجر تبتدىء اودية اعالي انتيلبنان المتعطفة ومن ثمّ يصعد المسافر بجبال وعرة فيها قليل من العشب فيصل الى (عبتي) [٣] و (الديماس) [٤] وهما حقيرتان والاولى مشهورة بفخارها (اه) قول ميسلن [٥]

قلتُ وفي القرية انقاض سور تحكمُ نحو اربعة امتار ودائرتهُ نحو ثلاثة كيلومترات واطلال ونقود كثيرة وآثار مختلفة . والسور خرب متهدم . وهناك اقنية قديمة تنسب الى زينب ملكة تدمر وهي لجر المياه الى محل آخر. وكثيراً ما تنسب الاقنية الى زينب بمزاعم العامة

وفي صيف سنة ١٩٢٢ ظهرت بعض آثار في (مجدل عنجر) فذهب صديقي الاثري المسيو استاش دي لوري مدير الآثار الاسلامية في دمشق مع حضرة صاحب القرية الوجيه منيف بك اليوسف فتفقد الآثار كلها وقابل منيف بك احد منشئي

(١) يدل هذا الوصف على ان البلدة كانت عامرة في منتصف القرن الماضي وآثارها كانت ظاهرة . اما قوله انها تسمى (عين قوبل) فما لم نسمع به اليوم

(٢) اعتاد سكان الشرق ان يلصقوا هذه التغيرات الطبيعية الى علاقات خرافية او كرامات دينية في مثل الينابيع الدورية التي تمد وتجزر باوقات معلومة

(٣) لعلها تحريف (عنات) وهو من الهة سورية قيل عنيتا ثم ميتا واشتهرت بعلمائها

(٤) الديماس من كلمة ذيموس اليونانية بمعنى غرفة (٥) نشر قسم كبير من هذه الرحلة في مجلة كوكب البرية (٤ : ٣١٠) معرباً بقلم الاب مبارك صقر

جريدة (الف باء) الدمشقية فاخذ عنهُ وصفها بحسب رأي دي لوري الذي لخصتهُ بزيادة وتصرف في هذه المجالة الآتية وهو :

أن (القلعة) او (قصر عنتر) كما يقول العامة وهو تحريف قصر عنجر هي الى الشمال الغربي من المجدل. تراها اليوم اشبه بمعبد خرب حجارتهُ قديمة بديعة النقوش كقلعة بعلبك . واعمدتهُ اساطين ضخمة كاساطين بعلبك تراها منقلبة على الحضيض بفعل زلزلة ونحوها . والجدار الغربي لا يزال قائماً بحجارة عظيمة طول كلٍّ منها نحو متر ونصف بعرض متر . وعلو الجدار كلهِ نحو خمسين متراً بطول نحو سبعين متراً . ويظهر المتأمل ان تلك الاعمدة المحيطة بالقلعة المنضودة باحكام اتخذت متاريس في ايام الحروب

واما الجدران الثلاثة الاخرى فتراها شاخصة تخالف حجارتها وهندستها هندسة الجدار الاول المار ذكرهُ . لان كل جدار من هذه الثلاثة مشيّد من اربعة حجارة ضخمة فقط تمثل هيأة الجدار الاول طولاً وعلوًّا

وباب القلعة شرقيّ وهو ثلاثة ابواب باب كبير حولهُ بابان صغيران . ولها نافذتان احداها تشرف على الجهة الشمالية ووادي الحرير والثانية على غربي البقاع

وفي داخلها ضمن الجدار الشمالي سرير حجري اشبه بناووس كان ضريحاً لرئيس ديني عظيم ايام كان معبداً للشمس ونحوها وعلى جانبي القلعة آثار درج يصعد منهُ الى السطح . وفي جانب الجدار الجنوبي حوض طولهُ ثلاثة امتار بعرض متر كان لاغتسال الكهنة قبل تقديم الضحايا

وفي ايام الحرب العامة احتفر احد الاجانب في وسط المعبد فاقتلع حجراً ضخماً وجد تحتهُ قبواً انحدر اليهِ فعثر فيهِ على آثار جميلة منها زجاجات متقنة العمل ملونة مصقولة ومذهبة . واستخرج بعض نقود قديمة على احد وجهيها رسم خنزير وعلى الثاني رسم آخر

ولقد حفر كثير من السيّاح الذين جاؤوا سورية وعاجوا بهذا المعبد فاكتشفوا آثاراً نقلوها باوقات مختلفة الى متاحفهم ونقلت حجارة هذه القلعة وكثير من اعمدتها الى القلاع التي تجاورها عند ترميمها مثل قلعة قب الياس التي سبق وصفها في هذه المجلة (نوفمبر ١٩٢٢) واتخذ السكان المجاورون لا بنيتهم ما تداعى منها

وحول القلعة قبور كثيرة منها في مغاور او في نواويس محفورة بالصخور والمغاور ابوابهُ حجرية ضخمة وفيها نقوش رائعة وبعضها خلوٌ من النقوش مما

يدل على انها كانت تتفن او يهمل اتقانها بحسب طبقات الشعب الذي يتخذها من اغنياء وفقراء . وفي كل مقبرة ترى ثلاثة نواويس او اربعة محفورة في الصخر . ومعظم ابواب هذه المدافن في الجهة الغربية

وهناك قبر كبير منفرد عن المقابر يدل على انهُ اتخذ لميتٍ عظيم . او لرئيس ديني شهير في صخرة ترى على جانبها درجاً مطموراً بالتراب وهو يؤدي الى مقبرة او انهُ كان متسلقاً للجيش ليصل الى الحصن عند مفاجأة العدو لهُ

وهكذا ترى ايضاً آثار قبور للاولياء ومدفن اهل القرية القديم وعلى بعض اضرحته كتابة عربية من نحو تسعة قرون

وحول هذه الآثار آبار عميقة منقورة في الصخر مجوفة الاسفل وبعضها قد ردم بالحجارة والآخر فارغ بدون ماء وانابيب لجر المياه . واذا حُفر في تلك الضواحي تخرج آثار بلاط وحجارة قديمة وانابيب خزفية وامرجة للمقابر وزجاج مختلف الاشكال ونقود وحلى من خواتم وشنوف واسورة وعاديات متنوعة (١)

اما حجارة القصر فهي سوداء نخرة من الحجر الحوراني او الحرّي Baselet ويوجد نفق (سرداب) من باب سور عنجر الحالي الى جسر دير زينون فوق الغزير كان يتخذ لجلب المياه في ايام الحصار . لان ميامر كة عنجر الدورية يمكن قطعها عن الحصن . وهذا النفق مسدود الآن ولكنهُ محكم البناء على مسافة نحو ثلاثة ارباع الساعة . ويقال انهُ وجد نفق آخر من عنجر الى قرية (الاسطبل) في السهل

وحول عنجر آثار مهمة منها قصر (الدكّوة) وغيرهُ مما يدل على عمران تلك البلاد في الايام القديمة ولا سيما في اعصر العبادات الوثنية وانتشار الاساطير الدينية

ولقد انتاب هذه الاماكن نكبات كثيرة من الزلازل والسيول والحروب ولا سيما ما كان في زمن الصليبيين وما بعده في غزوات المغول والتتر والترك فعفت آثارها

الختام

هذا وصف لجدل عنجر وعنجر وقصرها القديم يدل على اتخاذهِ اولاً معبداً للشمس ونحوها على طريقة القدماء في سهل سورية المجوفة المملوء من الهياكل النفيسة الرائعة النقوش التي حوّلت بعد ذلك الى حصون وصوامع ومعابد المسيحية

(١) وفي المتحف العربي الدمشقي كثير من هذه الآثار الخزفية والزجاجية ونقود منها نحو ساعتي قطعة قدمها حضرة الوجيه متيف بك اليوسف الدمشقي هدية مسجلة باسمه وهو يملك قرية (مجدل عنجر) وقلعتها

والاسلامية . وكان تحصين هذه القرية التي كانت مدينة عظيمة باسم كلشيس اي مدينة النحاس بسور عظيم وابراج وقلاع تدعو اليه مطامع الغزاة والفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وكلدانيين وحثيين وارامين ويونانيين ورومانيين وايطوريين وفينيقيين وعبرانيين وفرس وعرب ومغول واتراك . ولا سيما ان موقعها على شرفة واد ترى منهُ جميع قرى البقاع ومدنهُ القديمة وسهلهُ الافيح حتى مدينة بعلبك عاصمة الوثنيين فكانت معقلاً يرد الغارات من وادي عنجر (او وادي الحرير) ووادي القرن . أو من جهات صيدا ولبنان وحماة ومرقباً تعرف منهُ شؤون الاعداء او محرساً للتجارة ومخفراً لتأمين طرق القوافل التي تسير من هذه المضايق واصبحت اليوم اطلالاً دارسة فسبحان من لا يتغير

دمشق — المجمع العلمي العربي عيسى اسكندر المعلوف

آثار حوران

ارسلت حكومة تشكوسلوفاكيا بعثة اثرية الى حوران عهدت في ادارتها الى الاستاذ هروزني الفائق الصيت والمعروف بحلّهِ رموز الكتابات الحثية ذات الزوايا التي اكتشفت سنة ١٩٠٧ في بوغاز كوي باسيا الصغرى

لم يجر حتى الآن اقل تنقيب منظم في حوران التي هي بلاد الاموريين القدماء وكان يطلق عليها في ايام التوراة اسم بلاد باشان . وقد اختار المسيو هروزني قاعدة لاعمالهِ محلة الشيخ سعد الواقعة على بعد ٣٠ كيلو متراً الى الشمال من درعا وذلك لانهُ كان قد وجد فيها قطعتين من الآثار وهما اسد ضخم من الحجر الاسود من الطراز «الحثي» ونصبٌ منقوش عليهِ اسم رعمسيس الثاني ولذلك كان من المحتمل ان تسفر اعمال التنقيب التي تجري في الشيخ سعد عن آثار يعود تاريخها الى الفي سنة قبل المسيح وهكذا في جبيل وكفر جرء ومشرفه. وقد اثبتت الاعمال التي قام بها في الشهرين الاخيرين المسيو هروزني ومعاونهُ المهندس لاروسلوكو كوكة صحة هذه الآراء

في قمة تل الشيخ سعد جامع اسلامي مهجور في الوقت الحاضر وقسم منهُ متهدم كان فيما مضى كنيسة قديمة ومن الراجح انها تعود الى ايام الصليبيين وقد بنيت تذكاراً لايوب الذي عاش في بلاد باشان كما يقول التاريخ

وقد دلت ابحاث البعثة التشكوسلوفاكية على ان هذه الكنيسة بنيت على